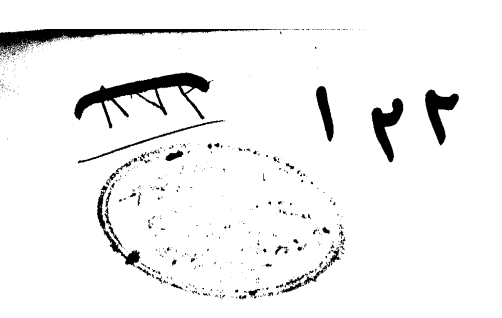




جامعة الأزهر
مجلة
الدراسات الإسلامية والعربية
فرع الزقازيق

مجلة
الدراسات الإسلامية والعربية

١٤١٢هـ - ١٩٩٢م

مطبعة الأمانة
٣ شارع جزيرة بدران شبرا - مصر

جامعة الازهر
كلية اللغة العربية
بالزقازيق

كلية اللغة العربية

العدد الثاني عشر
١٤١٢هـ - ١٩٩٢م

بسم الله الرحمن الرحيم

تصدير

نقدم لقراء العربية فى جميع أقطار العالم الاسلامى وعشاق الأدب هذا العدد (الثانى عشر) من مجلة كلية اللغة العربية بالزقازيق والتى أصبح اسمها حسب تعليمات الجامعة (مجلة جامعة الأزهر للدراسات الاسلامية والعربية — فرع الزقازيق) .

وقد نشرت مقالات هذا العدد بعد أن أجازها المحكمون الأساتذة الدكاترة من مختلف الأقسام العلمية حتى يكون كل ما ينشر تظهر عليه سمات الأصالة وكذا الجدة والابتكار .

ونعتذر للاخوة الذين ارسلوا لنا مقالات من خارج جمهورية مصر العربية نظرا لكبر حجم المجلة ونأمل فى نشرها ان شاء الله قريبا .

ونشكر لسعادة الأستاذ الدكتور رئيس الجامعة زيادة الدعم الخاص بالمجلة حتى ظهرت بهذه الصورة الفريدة .

والله أسأل أن يكون هذا العمل خالصا لوجهه الكريم انه نعم المولى ونعم النصير .

« وما توفيقى الا بالله عليه توكلت واليه أنيب » ....

رئيس التحرير
أ.د / عبد الرحمن عبد الحميد على
عميد كلية اللغة العربية بالزقازيق

ملامح التراث الإسلامي بين الماضي والحاضر

للأستاذ الدكتور / عبد الرحمن عبد الحميد على
عميـد الكلية

بسم الله الرحمن الرحيم

فى بداية حديثى أحب أن أوضح أن تراثنا الاسلامى كثير جـدا ومنتشر فى جميع مكتبات اوربا فى اكسفورد ، ولندن — وبولندا — وباريس وروسيا وأسبانيا وأمريكا وقد حصلوا على هـذا التراث من المخطوطات بوسائل شتى وطرق مختلفة .

ومن حقنا نحن العـرب والمسلمين ان نتعرف على ملامح هـذا التراث بل يجب أن يكون عندنا صورة له — حتى نطلع على حضارتنا.. ولسنا بدعا بين الامم — واذا كنـا قد غفلنا فى المـاضى عن هـذا التراث فقد آن الأوان أن نرجعه الينا وأن يساعدنا الغرب على رجوعه بدلا من الظلام الذى يحيط به هناك .

وأرى أن تتكاتف الجهـود العربية الاسلامية وأن نؤلف لجـانا مختصة متنوعة المعارف والعلوم تطوف بكل بلدان العـالم لبعث هذا التراث .. ونشره والحفاظ عليه .

أو نحصل على الأقل بصـورة — ميكروفيلم — من كل مخطوط موجود فى مكتبات العالم — وأظن أن هذا فى الامكان بعد ان ظهرت البرمجة الحديثة — والكومبيتر ، والوسائل المتطورة فى العلم الآن .

ومما لاشك فيه أن هذا التراث كان حلقة من حلقات نهضة أوربا بعد سقوط الأمبراطورية البيزنطية وهجرة العلماء الى الغرب مؤثرين فيها بما حملوه من علم وأدب وفكر وأيضا بما أخـذوه من مخطوطات

كان لها الأثر الفعال فى أوربا وكم حوت هذه المخطوطات على نظريات علمية وطبية واجتماعية وكم حوت هذه المخطوطات على فكر فلسفى.. وكم حوت هذه المخطوطات على حسابات فلكية • ناهيك عن تأثيرها فى الفكر والفن والشعر والموسيقى ، والعمارة والبناء •

يقول : « روجيه غارودى » (١) :

اذا كانت العلوم الاسلامية لم تنتهج منهج الغرب منــذ القــرن السـادس عشر فليس مرد ذلك الى نوع من العجــز أو القصــور الذاتى ، بل مرده الى أن الاسلام رفض الخوض فى بعض المجالات العلمية التى نظر اليها على أنها لا تتصل بغاية الوجود ومعناه

ولقد ازدهرت علوم الصين والهنــد وما بين النهرين والعلوم الاسلامية ايما ازدهار فى مرحلة كان فيها الجهل يعم أوربا التى انتقلت فيما بعد من جهل بربرى الى بربرية مسلحة بالعلم •

ويعترف « اندريه بونار » بأن العلوم اليونانية كانت فى بداية عهد الاسكندر علوما مجــردة وممارسة « للحساب » لا أكثر .. وبأن البحث الفلسفى انقلب الى تأملات نظرية •

ولم يشهد الطب نهضــته الا فى مصر اذ تطــور علم التشريح والتحنيط وعلى يد « هيتر وفيلوس » و « ايراسيستراتوس » خاصة. وفى القرنين الأول والثــانى للميلاد أزدهر الطب اليونانى هــذا الى ما جمعه « جالينوس » متأثرا به من الطب المصرى •

وفى العصر العباسى ظهر علماء اجلاء كان لهم الفضل فى أزدهار علوم خصــبة مؤثرة ومن هؤلاء الحسن بن الهيثــم والبيرونى وابن سينا والرازى •

ولا يغيب عن الذهن ان الخليفة « هارون الرشيد » (٧٨٦ ـــ

---

(١) ما يعد به الاسلام روجيه غارودى ط الوثية ص ١١٦ .

٨٠٩ م) — عندما احتل انقرة — وان الخليفة المأمون بعد ان انتصر على الامبراطور البيزنطى ميشيل الثالث · لم يطلبا تعويضا عن اضرار الحب » الا المخطوطات القديمة لدى البيزنطيين ·

أما فى مجال الترجمة فقد استقدم « هارون الرشيد » كثيرا من العلماء فى كل الفنون والعلوم من جميع الأمم ·

وكذا « المأمون » فقد انشأ دارا للترجمة وكان « يحيى بن ماسوية » رئيس المترجمين فى هذه الدار مع أنه كان طبيبا فى عهد هارون الرشيد وساعده فى ذاك — « حنين » ·

ومن العلوم المترجمة العلوم الطبية والفلكية والرياضية عدا العلوم الطبيعية ·

أما المكتبات فى هذا العصر فقد بلغت درجة كبيرة من العظمة والكثرة والأزدهار فقد أنشأ « المأمون » « بيت الحكمة » فى بغداد وكان فيه ما يقرب من مليون مجلدا وفى القرن العاشر الميلادى كانت بلدة — النجف فى العراق تحتوى على أكثر من أربعين ألفا من المجلدات وفى أسبانيا كان « الحكم » خليفة قرطبة يعتز بمكتبته والتى كانت تحتوى على أربعمائة ألف كتابا بينما لم يكن ملك فرنسا « شارل » يمتلك بعد أربعة قرون أكثر من تسعمائة كتاب ·

والخليفة الفاطمى « العزيز بالله » شغف بالكتب وبلغ عدد الكتب فى مكتبته مليونى وستمائة ألف مجلد فى الرياضيات وثمانية عشر ألفا فى الفلسفة ·

وقد انشىء أول مركز للرصد فى دمشق عام « ٧٠٧ م » من قبل الخليفة الأموى « عبد الملك بن مروان » وكانت المستشفيات فى ذلك الوقت تعد كليات طبية والتى أنشئت على غرارها كليات الطب فى

---

(٢) ما يعد به الاسلام ص ١٢٠ / روجيه غارودى بتصرف ·

أيطاليا « ســالرين » وفرنســا « مونبيليبيه » وبولوينا التى انشىء فيها كليتين للطب فى ذلك الوقت •

وقد وصــل ما يســمى بــ « الأرقام العربيــة » فى الغــرب بــ « الأرقام الهندية » الى أوربا عن طريق « الخوارزمى » ويتضمن كتاب « سيد هانتا » الهندى الذى قــدم الى الخليفة المــأمون عام (٧٧٣ م) والذى أحدث ثورة فى الرياضيات فيما بعــد •

وهذه الطريقة تقوم على تســعة أرقام مضافا اليها الصفر وهى بهذا تسمح بالتعبير عن أى عدد من الأعداد •

وقد نخص « الخوارزمى » هذه الطريقة ووضــع أسسها لتنتقل بعد ذلك الى أوربا عن طريق جامعه قرطبة على يد طالب راهب يدعى « جربرت » الذى أصبح فيما بعد البابا سلفستر الثانى •

قال حافظ ابراهيم :

أتى على الشرقى حين اذا ما ذكر الأحياء لا يذكر
ومــر بالشرق زمان ومــا يمــر بالبــال لا يخطــر
حتى أعاد (الصفر) أيامه فانتصف الأســود والأسمر

وبعد ثلاثة قرون قامت الجامعات الأوربية على نمــط الجامعات العربية الاسلامية كجامعة باريس واكسفورد •

وفى القرن التاسع الميلادى د ن « ثابت بن قرة » حساب التكامل وربط الهندســة بالجــبر ، وبحث الطــوسى والبيرونى وأبو الوفاء البوزجانى فى المثلثات •

وابتكروا فكرة « القاطع قبل كوبرنيكوس •

وهذا الشغف بالكتب الذى ذكرناه ، مضافا اليه النقل والترجمة من الثقافات السابقة من فارسية وهندية وصينية واغريقية أدى عمله فى التجديد والانطلاق والتفاعل والتأثر وبهــذا نجح المسلمون فى أن

يسهموا بقدر مهيل في اخصاب الثقافة العالمية ويكونوا حلقة منها بل أهم حلقاتها .

وعلى صعيد العلوم العربية نجد العباقرة الموسوعين بعدد الأصابع من أمثال « ليوناردو دافنشى » بينما هم فى الاسلام كثرة كاثرة : كالكندى ، والرازى : والبيرونى ، وابن رشد وغيرهم يضاف اليهم علماء مبدعون فى الطب والرياضيات وعلوم الدين والجغرافية ومنهم علماء وشعراء كالخيام وابن عربى ، وفلاسفة وعلماء فى الموسيقى كالرازى فى كتابه « فى جمل الموسيقى » .

واذا نظرنا الى علم « الجغرافيا » وجدنا للعرب فيه باع طويل فقد عرف العرب الملاحة فى المحيط الهندى منذ القرن التاسع الميلادى، بل قبل هذا بكثير .

أى قبل « ماركوبولو » بثلاثة قرون وقد وصف التاجر العربى « سليمان » بلاد الصين أول مرة فى التاريخ .

وجاب « ابن بطوطة » العالم الرحالة (١٣٠٤ — ١٣٥٦ م) العالم الاسلامى كافة .

وقام الادريسى بتأليف كتاب سمى « كتاب روجيه » فى بلاط ملك صقلية روجيه الثانى ودون فى هذا الكتاب بلاد القرون الوسطى مع الخرائط الكثيرة .

وابن ماجد هذا العالم المشهور المولود عام (١٤٣٠ م) خير من قام بقيادة أسطول « فاسكودى غاما » البرتغالى وتوجيهه من «ميلاند» على الشاطىء الأفريقى الى « كالكوتا » عام — (١٤٢٨ م) وله كتاب « الفوائد فى أصول علم البحر والقواعد » وكان البرتغاليون يصفونه بالكنز الكبير » .

وقبل هذا يصف « البيرونى » المسلمين فى كتابه « الآثار الباقية

عن القرون الخالية » قال : انتشر الاسلام فى العالم شرقه وغــربه فتقدم الى أوربا وحدود الصين والحبشة وبلاد الزنج فى جنوب أفريقيا ومن جزيرة مالاوه وجاوه الى بلاد الترك والسلاف •

وتتلمــذت على يد الاســلام شــعوب كثيرة فى علم لا يمكن أن يستلهموه الا من الله •

ومن أبرز الشخصيات العربية التى أثرت فى التاريخ ابن خلدون ١٣٣٢ / ١٤٠٦ م » وكتابه مشهور وقد تحدث فيه عن قيام الدول وأزدهار الحضارات وانهيــارها وانــار الى تأثير المنــاخ والعوامل الجغرافية والاقتصادية فى حياة الشعوب وكذا أسس الحكم وتاريخ البشر •

كل هذا أشار اليه « ابن خلدون » فى عبقرية فذة بينما لم يعرف العرب سوى مؤرخين عاديين •

وفى مجال الطب نرى أن أركان الاسلام من صيام ، وصــلاة وما يعتريها من وضوء ونظافه وكذا تحريم الخمور كل هذا أوحت الى العالم الاسلامى • « ابن رشد الأندلسى » فى القرن الثانى عشر بتأليف كتابه « الحمية » متناولا فيه قضية الطعام وتنظيمه وصنف العــالم « ابن سينا » الأمراض ودرسها بعناية وذلك فى كتابه « القانون » فى الطب وظل هذا الكتاب حتى عصر النهضة أكبر موسوعة طبية وترجم هذا الكتاب الى اللاتينية وقد ولد هذا العالم فى بخارى عام (٩٨٠م) وتوفى فى همزان عام (١٠٧٣ م) وقام الحسن بن الهيثم » بتشريح قاع العين واكتشف « ابن النفيس » المتوفى فى عام (١٢٨٨ م) الدورة الدموية الصغرى وقبل « وليم هارفى » بأربعة قرون •

وبهذا كله نرى مدى الاسهامات التى أسهم بها علماء العرب فى الأخذ بيد الانسانية الى الامام •

واذا رحنا ننظر الى التطور الانسانى على أنه :

« كل » لا يتجزأ فلابد لنا من الاقرار بأن تلك الحقبة الزمنية الممتدة فيما بين القرن التاسع حتى القــرن الرابع عشر لم تكن — بقعــة ســوداء — بل كانت حقبــة أزدهار وتفتح لاحــدى كبريات الحضارات — العالمية انها الحضارة العربية الاسلامية • وقد تحمس لهذه الحضارة « الفونس العاشر » : و « فريدريك الثانى » وذكرا أن هذه الحضارة تعد — « نابلة » ، وأما مرضــعة للحضارة الغربيــة • ومن كل ما سبق يتضح أن القرن العشرين والحادى والعشرين يمكن لهما أن يتعلما من الاسلام الشىء الكثير ، فالمسلمون قد أسهموا أيما أسهام فى اغناء العلوم فى العالم بفضل عقيدتهم وايمانهم العميق بالله خالق السموات والأرض •

تراثنا الاسلامى فى العصر الحديث

تأخذ حركة بعث التراث العربى الاسلامى فى العصر الحــديث شكلا جديدا ويتمثل هذا فى غيرة رواد هذه الحركة بخاصة الذين ذهبوا الى فرنسا فى العمل بجد ونشاط لارجاع اللغة العربيــة الى ماضيها الزاهر بعد ان ران عليها الكســل والخمول ومحــاولة اللحاق بركب الحضارة — بقدر الامكان •

وكان « رفاعة الطهطاوى « ١٨٠١ — ١٨٧٣ م » و « على مبارك ١٨٢٤ — ١٨٩٣ م » من أكبر رواد هذه الحركة وضمت هــذه الجماعة أيضــا بعض السوريين واللبنانيين الذين اضطرهم الاضطهاد التركى الى الهجرة الى مصر والاقامة فيها ومن هذه الجماعة •

أنطون الياس ، يوسف حكيم : حنا الدمادونى ، فرنسيس سابا وغيرهم وقد عملت هذه الجماعة على نقل التراث الفرنسى وعيــون ادبه الى العربية ومحاولة ايقاظ الناس واطلاعهم على هذا التراث —

الجديد وازاحة الستار عن دور العرب والمسلمين فى ايقاظ أوربا سابقا بقدر الامكان ، والعمل بكل سبيل على ايجاد نهضة فكرية جديدة تساير العالم الغربى وتواكبه •

وقد اعلن « رفاعة انطهطاوى » منهجه قبل أن يدخل فى دوامة الجديد والقديم أنه سيعالج ما يراه أو ينقله بحرية تامة ، متسلحا بعقيدته الاسلامية الصرفة ، فهو لا يستحسن ما يخالف الشريعة الاسلامية ولا يحيد عنها وسوف لا يخوض فى جدال فلسفى لا طائل وراءه وجل قصده ان يوضح أسباب تأخر مصر والعالم الاسلامى فى عهده عن التقدم الأوربى وحضارته الحديثة •

ومعنى هذا ببساطة — انه يريد المحافظة على كل القيم الاسلامية الموجودة فى مصر وكذا التقاليد الحضارية التى لا تتعارض مع روح الاسلام ثم العكوف على ايضاح الأسباب التى تجعل الأمة الاسلامية فى مصاف الدول الكبرى وتجنيبها : والعمل على الاخذ بها •

وقد آمن « رفاعة » بأن العلم والعدل هما أساس التمدن الحقيقى وهو ايمان ولد فى نفسه من عكوفه على قراءة التاريخ الاسلامى مذكرا أن التمدن الحقيقى كان موجودا فى البلاد الاسلامية زمن الخلفاء •

وان العلم اهم شيء تعتمد عليه الأمم فى رقيها وحضارتها « وان العلوم والمعارف تجلب الانس وتزين العمران » •

وهذه أول دعوة يقوم بها مصرى فى العصر الحديث لاحداث تغيير كامل فى مفهوم العلم والعالم محاولا هدم المفاهيم العلمية الخاطئة التى كانت سائدة فى مصر آنذاك •

والى العمل على الأخذ بالوسائل الحديثة فى العالم المتحضر ولم يكتف « رفاعة » بهذه الدعوة ، بل عمل بعد رجوعه على متابعتها واخراجها الى حيز العمل الجاد المثمر ، فتابعها بنشاط بعد عودته الى

مصر عام (١٨٣١ م) واضاف اليها مجهوده الذى قام به كاستاذ عامل فى المعاهد والمدارس ثم مجهوده الادارى والذى تمثل فى الاشراف على اللجان التى شكلت بقصد الاصلاح والتطور ثم اخيرا مجهوده كصحفى ومحرر ومترجم ومصحح وتوج هذا بترجمة الكثير من الكتب الفرنسية والتى كان لها الصدى الكبير فى ذلك الوقت وكل هذا يطلعنا على مدى الجهد الذى بذله هذا الرجل العالم الأديب وقد سجل هذا فى كتابه المشهور « تخليص الابريز الى تلخيص باريز » ومن يتصفح هذا الكتاب يجد الكثير من التوجيهات الحارة .

التى تدعو المسلمين جميعا من عرب ومن عجم الى العمل بجد على ما يجلب لهم المجد والقوة والبأس فى كل مجالات الحياة محاولا ايقاظهم .. بكل سبيل الى الاخذ بزمام التقدم والحضارة ما استطاعوا الى ذلك سبيلا .

مذكرهم بسيرة السلف الصالح وما كانوا عليه من عزة وقوة وجبروت ..

ودعا « رفاعة » الى أن الطريق الى الحضارة العربية هو أحياء اللغة العربية بكل سبيل وذلك يكمن فى نشر الكتب القديمة والعناية بأمهات الكتب ودواوين العرب . والعمل على خلق ملكة التكلم باللغة السليمة . ويتمثل هذا فى اصلاح طرق التدريس والعمل على الترغيب والتشويق والكشف عن جمال اللغة العربية لتصبح لغة العامة والخاصة.

لأن ما أدهشته وهو فى فرنسا انه وجد الكثير من المدارس تتوم بتدريس « اللغة العربية » فى مدارسهم الباحثة عن المعارف الشرقية القديمة » فكيف بنا نفرط فيها ؟ « الى أن طمست معالمها ودرست رسومها وقل راغبوها وندر طالبوها » .

وقد وقف «رفاعة» على ما كان يدرس فى المدارس الفرنسية هناك

وبخاصة مدرسة اللغات الشرقية بباريس واعانه على ذلك صلته بالمستشرق « سلفستر ساسى ١٧٥٨ — ١٨٣٨ م » والمستشرق « كوسان دوبرسفال ١٧٥٩ — ١٨٣٥ م » .

وكتب « رفاعة » عن كثير من العادات والتقاليد المنتشرة فى فرنسا كالحرية ، ومساواة المرأة بالرجل والحجاب والسفور والعدل الذى يشمل الجميع ، وعادات الأكل والشرب ، وتكلم عن كثير من العلوم المنتشرة هناك والتى اعلت من حضارتهم وصناعتهم كالفلك الطب والهندسة وعالج بالدراسة مسألة المسرح المصرى والمسرح الفرنسى وكان يهدف من وراء هذا الى دراسة عناصر التشابة والاختلاف فى كل من المسرحين .

ونادى بتبسيط قواعد اللغة العربية لتساير التقدم الحضارى وأشار الى أن اللغة الفرنسية لا يمكنها تصريف الأفعال فهى ضئيلة فى هذا الجانب ..

ووازن بين الأدب العربى والأدب الفرنسى وأنه يختلف من أمة الى أمة نتيجة اختلاف الجنس وأن الأدب الجيد هو الذى يرضى طباع الجنس الذى ينتمى اليه وعرض لقضية الشعر فى كل من الأدب العربى والأدب الفرنسى وأكد ان لكل أدب نظامه الشعرى الخاص به ، وأشار الى أن الفرنسيين لا يكتبون العلوم نظما ، كما يفعل العرب ويعلن ان الترجمة لأى شعر تذهب بكل جماله .

ويرى « رفاعة » ان شعر كل لغة له موسيقاه الخاصة به ، وان معرفة العروض ليست كافية لقول الشعر فى أدب من الآداب .

وتعرض « رفاعة » للموازنة بين شعر الغزل فى العربية والفرنسية وكذا الاشعار الحربية : والاسلوب بين العربية والفرنسية وقادته الموازنات الى أن لكل لسان اصلاح ولكل لغة أسلوبها وان مزاج الفرنسيين فى أشعار الحرب يشبه مزاج العرب .

ولم يكن هدف « رفاعة » من وراء تلك الموازنات الى دراسة الظواهر بين اللغتين فى حد ذاتها وانما كان يهدف الى الكشف عن عناصر « التمدن الحقيقى » فى العصر الذى كان يعيش فيه • وبالتالى تطوير المجتمعات الاسلامية المتخلفة عن طريق ابراز السمات الحضارية « والعمل على الاخذ بها » •

وبعد : فهذه دعوة عالم ازهرى امام غاص فى قاع المجتمع الفرنسى وشاهد ما عليه من تقدم وعمران فأراد ان يوقظ العالم الاسلامى — وفى مقدمتهم مصر حيث كان لها السبق والريادة على الدوام — لتأخذ بالاساليب الحضارية التى تعلى من شأنها وتجعل لها دورا فى الحياة الحديثة ونستطيع أن نقول : ان هذه الدعوة آتت ثمارها فى ذلك الوقت •

وسار على نهج « رفاعة » على مبارك — وكان « على مبارك » قد سافر الى فرنسا عام « ١٨٤٤م » مع البعثة المصرية التى حملت اسم « بعثة الانجال » ليدرس فى المدرسة المصرية الحربية بباريس ، ولكنه لم يؤثر تأثيرا كبيرا فى المجال الذى ارسل من أجله ، وانما استطاع أن يترك آثارا ضخمة فى المجال التعليمى والثقافى فى مصر الحديثة ونجح « على مبارك » فى نقل الثقافة الفرنسية بكل ما استطاع سواء عن طريق النقل والترجمة والتعريب أم عن طريق الكتابة وكان مؤلفه « علم الدين » الذى جمع فيه قصصا وسيرا من أهم مؤلفاته •

وما فى « علم الدين » لون من الحكاية تقوم على وحدة الهدف وتميل الى السرد وايراد ملح الكلام وتتكون من مسامرات وتتخلل تلك المسامرات الابيات الشعرية والحكم ، فهى تشبه « المقامات » الى حد كبير ولكنها جاءت فى ثوب جديد مبتكر فكتاب « علم الدين » موسوعة ضخمة فى المعارف العامة فى عصرنا الحديثة •واشار « على مبارك » الى

ان الاسلام كان سببا فى ازدهار العالم وتكوين حضارته فى القديم ، وسيكون ان شاء الله تعالى الاساس الذى تبنى عليه الحضارات فى العصر الحديث فانتقال الثقافة من امة الى أمة أخرى أمـر طبعى فى القديم والحديث •

واذا كان الاسلام قد أحيا التمدن الحقيقى فى السلوك والعـادات والاخلاق وفى العدل ونشر العلم والسعى فى مناكب الارض ثم أخذته أوربا فلا غضاضة علينا ان نأخـذ عنها من جـديد ما أخذته عنا فى العصور الحديثة •

وما دام الاوربيون قد وصلوا الى أعلى درجـة التمدن : حتى صاروا فى عصرنا منفردين فى جوانب الصناعة وجوانب أخرى كالحرية والعدل والمسـاواة والتقـدم العلمى ، فانه من الطبيعى أن نتجـه نحوهم ، ونأخذ عنهم ما أوصلهم الى هذه الدرجة من التمدن •

ودعا « على مبارك » الى تحقيق هذا التقدم وذلك بانشاء مراكز للنشر تخدم هذا الغرض فنشر المعارف الاوربية يتيح لجميع النـاس فى العالم الاسلامى الأطلاع عليها وبهذا تتفتح أمامهم أسرار الكـون ونأخذ بأيديهـم الى الحضـارة والتقـدم وبهذا نقضى على الجهـل والخرافات التى رانت على بلدان العالم الاسلامى فترات طويلة •

وفى « علم الدين » الكثير من القوانين العلمية التى تخضع لهـا الظواهر الطبيعية ــ فمثلا قوة البخار ــ ومدى تأثيره على الحركـة تخضع لقوانين علمية محددة ، وليست قوة خفية ولدتهـا الطلاسـم أو الشياطين ، كما أن البراكين ظاهرة تمكن العلم من معرفة أسـبابها وليست سحرا أو نقمة سماوية كما كان يظن •• الخ •

وكان يرى أن الاخذ بأسباب العلم والتقدم سيقضى على التخلف والجهل والشعوذة التى قادت المجتمع الاسلامى الى التخلف فى جميع

مجالات الحياة العلمية : وان قيمة الفرد أو الجماعة ليست فى حسبها ونسبها بل فيما تقدمه للبشرية من وقع حقيقى يعــود عليها بالتقــدم والخير وازدهار العمران .

التراث الاســلامى ومعطيات العصر الحديث

كان من نتيجة هذا كله ان رأينا ظهور التيارات الفكريـــة المتأثرة برياح الغرب والتى أثرت بوضــوح على مصر والعـــالم الاســلامى وانتشرت المطابع وخاصة بعد الحملة الفرنسية على مصر وأدى هذا الى ظهور الجرائد والمجلات التي اخذت تدعو الى التطور ومواكبة الحياة الغربية الحديثة .

وظهرت الحاجة الى ذلك فى عهد « محمد على » وتبع ذلك ظهــور جيل جديد مثقف أخذ يدعو الى الاخــذ بأسباب التقدم الموجودة (١) فى البلاد الغربية فى كل المجالات ومنهم من عاب ذلك بدعوى أن هذا يعد طمسا لمعالم الشخصية الاسلامية ، وتناسى هؤلاء ان الدين لايمنع على الأطلاق من العلم والتعلم ولو أدى هــذا الى التلمذة على يــد الاجانب والمستشرقين وبخاصة المعتدلين .

ومن الرواد الذين دفعوا النهضــة الاوربيــة وغــيرها فى البلاد الاسلامية — جمال الدين الافغانى وعبد الرحمن الكواكبى ومحمد عبده وعبد الله النديم ومحمد رشيد رضا وشكيب أرسلان والرافعى وطــه حسين والمنفلوطى ، وظهر جيل من الشــعراء عملوا على رفع لــواء العربية حتى تنهض من كبوتها . ومن هؤلاء الزهاوى والرصافى وخليل مطران ، والبارودى وشوقى وحافظ ابراهيم الذى نادى بالمحافظــة على اللغة العربية حين قال :

---

(١) ديوان حافظ ابراهيم / ص ٢٥٥ ط الأميرية .

وسعت كتاب الله لفظا وغاية وما ضقت عن آى به وعظات
فكيف أضيق اليوم عند وصف آلة وتنسيق أسماء لمخترعات
أيهجرنى قومى — عفا الله عنهم الى لغة لم تتصل برواة
سرت لوثة الافرنج فيها كما سرى لعاب الافاعى فى مسيل فرات

وظهر أثر التيارات الغربية بسرعة وبخاصة الذين ألموا بالثقافات العربية والأجنبية ، وترتب على ذلك نشوء عهد جديد فى الأدب العربى: لم يلبث أن تمخض بالتدريج عن مولد المشرح العربى وظهرت أول مدرسة للكتاب الروائيين والقصصيين ووجدت فى الشعر نماذج لم تكن معروفة من قبل(١) .

ولا يمكن ان ننسى فضل المترجمين والمعربين الذين نقلوا الى العربية نماذج مختلفة من القصص الغربى ، ومن هؤلاء الذين أسهموا فى هذا الميدان : يعقوب صروف الذى ترجم « قلب الاسد » عن « والتر سكوت » ونجيب حداد ، الذى ترجم « الفرسان الثلاثة » عن « أسكندر ديماس » ، حافظ ابراهيم الذى ترجم البؤساء عن فيكتور هوجو ، أحمد حسن الزيات الذى ترجم آلام فرتر عن جوته ورفائيل مارتين ومنهم محمد السباعى الذى ترجم قصة مدينتين عن تشالز دينز ، كما ترجم عدد كبير من الأدباء القصص القصيرة لمشاهير كتاب الغرب منهم عباس حافظ ، عبد القادر حمزة ، ابراهيم المازنى ، محمد عبد الله عنان .. الخ .

من الذين قاموا بالترجمة على أسس سليمة معتمدين على الذوق الأدبى فى أغلب الاحيان . عبد القادر المازنى ، محمد السباعى: عباس حافظ ، خليل مطران ، محمد عوض محمد ، زكى نجيب محمود ،

---

(١) محمد عوض محمد ص ٣٣ من بحث القاه المؤتمر التاسع والعشرين لأندية العلم بمدينة طوكيو .

فخرى أبو السعود ، عبد الرحمن صدقى ، محمد عبد الله عنان ودرينى خشبة وغيرهم(١) .

وفى أواخر القرن التاسع عشر وأوائل القرن العشرين نهض بالترجمة عدد كبير من أدباء سوريا ولبنان وقد هاجروا الى مصر وأنشأ بعضهم صحفا ومجلات كالاهرام والمقطم والهلال ومن هؤلاء نجيب حداد ونسيب المشعلانى ، وطانيوس عبده ، نقولا رزق الله .

والترجمة فى الوقت الحالى هى الجسر الذى يصل بنا الى معرفة العالم وما ظهر فيه من ابداعات أدبية وفكرية وابتكارات علمية وعلى معالم هذا الجسر يعرف العالم ماضينا ومستقبلنا ونستطيع من خلاله ابراز حضارتنا القديمة .

ويرى د. محمد عنانى « ان النص المترجم يعتبر عملا ادبيا جديدا » وذلك اذا استطاع المترجم ان يسكب على النص خيالاته وأفكاره وابداعاته اللفظية .

وقد ترجم لشكسبير « حلم ليلة صيف » عام ١٩٦٤ م و « روميو وجوليت » عام ١٩٦٥ م نثرا و « الفردوس المفقود » عام ١٩٨٢ — ١٩٨٦ م بأسلوب عربى بديع . وكذا تاجر البندقية شعرا فى أواخر الثمانينات(٢) .

ويقترح أديب وكاتب مصرى أن يتم انشاء هيئة عليا للترجمة فى مصر ويكون من مهامها التخطيط والمتابعة ووضع أسلوب علمى جديد للترجمة ومن خلاله تقوم المؤسسات العلمية والثقافية بتنفيذ هذه الخطة وتكمن هذه الخطة فى العمل على نقل عيون الأدب والفكر والفن العالمى وكذا الاكتشافات العلمية التى تظهر — فورا فى انحاء العالم

---

(١) دراسات فى القصة والمقالة ص ٨٢ للمؤلف .
(٢) مجلة اكتوبر / ٧٧٥/١٩٩١ ص ٣٢ .

وبالتالى ترجمة آدابنا وفنوننا الى العالم وكذا تراثنا القديم الى الامم التى ترغب فى معرفة حضارتنا المصرية الاسلامية ٠

وظهر جيل جديد وحركة واسعة منذ ايام « محمد على باشا » و « اسماعيل » كما اسلفنا وذلك على أثر عـودة طلاب البعثات التى ذهبت الى أوربا فقـد اطلع هـؤلاء على منجـزات الغرب الحديثة ومخترعاته الكثيرة ومذاهبة فى الفكر والسياسة والشعر والأدب ٠

فأرادوا ان ينشروها عندنا قدر المستطاع ٠٠ وكان من هؤلاء خليل مطران ، الرصافى ، حافظ ، شوقى ، البارودى ، اسماعيل صـبرى والزهاوى وغيرهم ٠

وظهر على فكر هؤلاء ما كان ينادى به « الشيخ محمد عبده » ، « شكيب أرسلان » ، « رشيد رضا » ، « الافغانى » ، « الكواكبى » ٠

وقد استطاعت مصر ان تؤثر تاثيرا كبيرا على العـالم الاسلامى بما كان فيها من مناقشات وعلوم وأفكار ٠

ووقف الازهر شامخا يحتوى اللغة العربية ويحافظ عليها من كل أجنبى دخيل وكان رجاله كعهدهم يرفعون لواء الحرية والكرامة والعلم الذى كان له الصدى على جميع بلدان العالم الاسلامى ٠

وتأثر الأدب والشعر بالتيارات الغربية الحديثة وظهر أثر ذلك فيما كتبه المنفلوطى ، وطه حسين ، والمازنى ، والعقاد ، وعبد الرحمن شكرى وغيرهم وظهرت حركة المحافظين فى مواجهة المجـددين الذين عاثوا فى الأدب والشعر فسـادا ٠٠ وليس معنى هـذا أننى أرفض التجديد ولكن التجديد فى نظرى هو الذى يتلاءم مع قيمنا وعاداتنـا وديننا : لا التجديد الذى يهدم قضايا العروبة والاسلام ، واللغـة العربية السليمة ٠

وليس التجـديد نقل ما يدور فى الغـرب من نماذج واحداث بل التجديد هو الذى يدفع الفن الى الامام لا الى الخلف ٠

والسبب الذى جعلنى أقول هذا القول .. هو ان أغلب المجددين تناسوا اللغة العربية ووقع فى شعرهم الكثير من الاخطـاء اللغويـة بدعوى العصرية ، وأصبح الشعر يشيع فيه الدعاوى الجنسيه ويظهر فيه القلق والتبرم والسخط وكذا الغموض الذى أدى الى عدم الفهـم وكثر فى شعرهم الاساطير والرموز والألفاظ الغربية بدعوى العصرية والتجديد ولم يعرف هؤلاء ان أى فن له جماله وقيمـه وتقاليده التى تخلده على الدوام .

فأى جمال جاء به هؤلاء ؟ ان الجمال لا يأتى فى صورة مهلهلة رديئة ولا يأتى فى صورة قاتمة فارغة عارية عن الحق والقيم بكل المقاييس .

ان لغتنا العربية لم تضـق فى المـاضى البعيد عن اسـتيعاب المصطلحات الغربية فى العلوم والفنون والآداب ، بل أثرت فى علـوم الغرب وفلسفته تأثيرا كبيرا .

فهل تضيق اليوم على احتـواء الأفكار والأسـاليب والمخترعات الغربية ؟ لا ان وأملنا اليوم ان يتحد العالم الاسلامى من شرقه الى غربه ويستلهم تراثه الحضارى ويحاول بكل قوة اظهاره للعالم أجمـع ليكون فى مواجهة التحدى العلمى الشرس الذى ألقى ظلاله على العالم الاسلامى بصورة مذهلة .

ان الحضارة الاسـلامية بما فيهـا من علم وفكر صـالحة للفكر الانسانى اليوم وأمس والغد وان تكون لبنة فى صرح الحضارة العالمية بكل المقاييس فلا من عودة الى هذا التراث الذى تزخر بـه مكتبـات العالم ليعيد الى الجيل الجديد القوة الشـخصية ويبعـد عنه شبح الخوف والقلق والشك فى قيمه ومستقبله .

ولكن أى فن نختار وأى علم نصـور وأى مادة نهتم لأن تراث الأمة الاسلامية ــ كما ذكرنا سابقا ــ كثير ومن الصعب الالمام به ما

صحيح ان بعض البلدان الاسلامية قامت بنشر وتحقيق بعض المخطوطات ودراستها وقام آخرون بتصوير بعض التراث الاسلامى ولكنها جهود فردية تحتاج الى دعم متواصل وتوحيد الجهود •

ومن الواجب أن ننبه الى أن أمتنا الاسلامية الآن بعد ان بعدت المسافة الحضارية بينها وبين الأمم الغربية فى العصر الحديث فى حاجة ماسة الى أحياء التراث الاسلامى الجيد والمفيد وان تكون مهمتنا تنقية ما فيه من شوائب ليصبح قويا يواكب التطور على الدوام •

ان أمتنا الاسلامية فى حاجة الى فهم عميق لتراثها واظهاره فى صورة جيدة مفيدة بحيث يساير الفكر المعاصر وعلى العلماء والكتاب والفلاسفة ان يقدموا هذا الفكر الآن بصورة مثلى محاولين اظهار الوجه المشرق للحضارة الاسلامية فى جميع المجالات •

أن الأمة الاسلامية الآن فى اختبار عصيب من الله سبحانه وتعالى وهو يؤدبنا كتأديب الكسالى •• لأنه لو ترك الكسول على كسله بلا عقاب لكان أهمالا لا يجوز فى حقه تعالى •

ولكان ذلك تشجيعا لكل من يكسل ، ولكانت النتيجة أن تتوقف حركة الحياة فى الكون ويتوقف العمار فى الدنيا بأكملها هو اذن ابتلاء واختبار وتربية •

تربية لسلالات بشرية يصنعها الله بحكمته ويربيها مرة باغداق الثواب ومرة أخرى بانزال العذاب لحكمة يريدها فى النهاية هى اظهار الحق •

ونرجو ان نتعلم ونتعظ ونعتبر من دروس التاريخ وان نتأدب ذلك الأدب الالهى الربانى العالى حتى نواكب مراحل التاريخ القادمة •

ونتخطى مربط الحمير الذى رابطت فيه القارة الافريقية مع الفقر والمرض والأمية والبدائية قرونا طويلة ولا مدعاة لليأس فقد كانت

لأوربا رقدة طويلة فى العصور الوسطى المظلمة وكان الطاعون والكوليرا والحروب الطائفية تحصدهم .. وكانوا يأخذون علمهم وتقدمهم عنا ويترجمون العربية الى لغاتهم ليتعلموا علومنا .

وغرقت أمريكا قرونا فى حروب الشمال والجنوب وفى ظلام العنصرية قرونا أخرى .

واقتتلت الجارتان انجلترا وفرنسا فى حرب المائة عام ثم احترق الجميع فى أتون الحرب العالمية الأولى والثانية ثم خرجوا من هذه المخاضة المظلمة الى أنوار عصر النهضة .

أنه ليل التاريخ ونهاره يتداولان على نصفى الكرة الأرضية ..

يقول الله سبحانه وتعالى : « وتلك الأيام نداولها بين الناس » ويقول عن قوم سبأ « فجعلناهم أحاديث ومزقناهم كل ممزق » تلك سنة الله فى خلقة وهى سنة عادلة فى تأديب خلقه بالثواب والعقاب فلا داعى لليأس .

المهم ان نعى الدرس ونفهم ونعتبر ونتغير وأمامنا الزمن طويل .

وعمر الحياة فى الأرض أربعة آلاف مليون سنة نصيب الانسان منها بضعة ملايين قليلة « من مليون الى عشرة ملايين سنة فى تقرير البعض » فهناك اذن فرصة وفرصة ويوشك نهار الحضارة ان يعود فيدركنا وما كان الله ليغير ما بقوم حتى يغيروا ما بأنفسهم .

فلنغير ما بأنفسنا لتعود فتشرق شمس الله من الشرق كما حدث أيام بابل ومنف وبغداد والأندلس أيام كان التاريخ يأخذ تعليماته منا وكان مربط الحمير فى بلاد الخواجات(١) .

---

(١) حكاية الحمار الاهرام ١٩٩١/١/١٥ د/ مصطفى محمود .